لا تنغصوا فرحة العيد

١/ ١٠/ ١٤٣٦هـ

للعيد فرحةٌ وأي فرحة! إنها الفرحةُ بهذا الدين، وإكمال عِدة رمضان: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس:٥٨][1]، إلا أن هـذه الفرحة يـأتي ما ينغّصهـا في بعض البيوتـات والعلاقات الاجتماعية، وعلى رأس هذه المنغِّصات:

- القطيعـة التي توجد بين بعض الأقارب -والد وولد، أو أخ وأخيه- نجح الشيطان في صرْمِ حبالها، وقطعِ وصالها، مع أن عامة الأسباب -إن لم تكن كلها- دنيوية بحتة، أو أشياء يسيرة يمكن تجاوزها وحلُّها إذا وُجـدت رغبةٌ صادقة من الطرفـين: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾[النساء:٣٥].

والملاحَـظ أن مما يطيل أمَـدَ هذه القطيعـة: إصرارُ أحدِ الطرفين أو كليهما على اعتذار الطرف الآخر لأن الخطـأ منه، أو أن الحق له! فيقابله

(١) ينظر مقالٌ سابق بعنوان: «العيد بين عبوديتين»:
http://almuqbil.com/web/?action=articles_inner&show_id=1323

الطرفُ الآخر بمثل هذا الشعور، فمتى يصطلح هذان؟ ومتى يجتمع المتقاطعون والمتهاجرون إذا لم يجتمعوا في العيد؟ أيَسُرّهم أن يُحرَموا من ذلك الفضل الذي حدّث به النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، ويوم الخميس؛ فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنْظِروا هذين حتى يصطلحا، أنظِروا هذين حتى يصطلحا، أنظِروا هذين حتى يصطلحا**»[1]؟!

ما أسعد ذلك الساعي في رأب الصدع، وترميم العلاقة؛ بالعز في الدنيا قبل الآخرة، كما قال: «وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا»[2]، وما أشد ما ينتظرُ الممتنع من الإصلاح من وعيد تقشعر له الأبدان: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[محمد:٢٢-٢٣].

■ ومما ينغّص فرحةَ العيد -وله صلةٌ بما سبق-: ما يقع من بعض الناس -خصوصًا ممن له حقٌّ لسِنِّه أو عِلمه أو مكانته الاجتماعية- من كثرةِ العتاب على الآخرين، سواء ممن لم يتصل أو يَزُر، أو يهنّئ، أو يُعايد!

ومع الاحتفاظ بحق كل إنسان، وأنه ينبغي إنزاله منزلته؛ فإن من الأصلح للقلوب أن تتسع لالتماس المعاذير للناس، فالصوارف والعوائق في عصرنا كثرت، وزادت، ولربما عَتَب أحدُنا على شخص، واستبطأ زيارَتَه أو اتصاله، وهذا المعاتَب مريض، أو نزلت به نازلةٌ اجتماعيةٌ لا يُحب أن يَعلم بها أحدٌ، «ومن لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما

---

(١) مسلم ح (٢٥٦٥).

(٢) مسلم ح (٢٥٨٨).

يأتون من المكروه، وترك التوقّع لما يأتــون من المحبوب؛ كان إلى تكدير عيشــه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه الوقتُ إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن ينال منهم الوداد وترك الشــحناء»[1]، وصدق مَن قال: «ومَن أحوجك إلى العتب؛ فقد وطّن نفسَه على الهجرة».

■ وثالث هــذه المنغصّات في العيــد -وهي أحدُ أســباب القطيعة في الســنوات الأخيرة في مجتمعنا- هــو ما يحصل مِن توسّــعِ عددٍ من النســاء في اللباس، بحيث تتجاوز ما يمليه الحيــاء، وتوجبه المروءةُ مِن مراعاة اللبس المحتشــم، ولربما استحضرتْ بعضُ النساء بعضَ الأقوال الفقهية التي تتحدث عن عورة المرأة أمام المرأة، وليس المقامُ هنا مقامَ حديثٍ عن البحث الفقهي؛ بل المراد أن المرأة العاقلة تراعي الجوانبَ التربوية، وآثارَ هذا التوســع في مثل هذه الألبسة، وخطرَها على الأجيال الناشــئة، فمِــن المعلوم أن هذا التوســع لم يأتِ في يوم وليلة، بل كانت بدايتُه بتوسّعٍ قليل حتى وصل الحالُ إلى مآسٍ يندى لها جبينُ الحياء؛ مِنْ كشــفٍ لمواضع من الجسد يستحي الإنسانُ من ذكرها! وهكذا بدايةُ تفشّي السفور في بعض بلاد الإسلام كما لا يخفى.

ولنا أن نتســاءل: ماذا يُتوقع من طفلةٍ تنشــأ في أجواء كهذه؟ وكيف سيكون لباسها بعد سنوات حين تبلغ ســنَّ النساء البالغات؟ ألا يكفي تكسّر هيبة الحشمة في نفسها؟ وانهيار حاجب الحياء من اللبس العاري؟

وهذا النوع من الألبســة مع مخالفته لظاهــر النصوص التي تأمر بألا

(١) روضة العقلاء (ص٧٢).

تكشـــف المرأةُ إلا ما جرت العادةُ بكشـــفه عند محارمها من الرجال؛ إلا أنه أيضًا -وهذا من شـــؤمه- ســـبَبٌ في قطيعة بعض الأُسر لاجتماعات أقاربهم! بســـبب إصرار بعض الأخوات -هداهـــن الله- على هذا النوع من الألبســـة، وكأن الجمال لا يتم إلا بهذا التعري! فتحّول العيدُ إلى زمنِ شحنٍ للنفوس على بعض، بدلًا من صفائها واجتماعها!

وإني أوجّه دعوةً لكل رجـــلٍ ولّاه اللهُ أمرَ زوجةٍ أو بنتٍ أن ينتبه لهذا الأمـــر: «فكلكم راعٍ وكلكم مســـؤول عن رعيتـــه»[1]، وأهيب بأختي المسلمة -أُمًّا كانت أم زوجة- أن تتقي الله تعالى فيما تلبس، وأن تعلم أن الله ســـائلها عما تحتها من البنات، «**والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**»، ولتتذكر أن ضغط الواقع -الذي تحتج به بعضُهن- يَذهب من قلبهـــا إذا تذكرت أمثال هـــذه الآيات التي تصـــف هذه اللحظات المهيبـــة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[البقـــرة:٢٨١]، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾[مريـــم:٩٣-٩٥]، ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[النحل:١١١].

وبالجملة، إذا لم يكن العيدُ فرصة للتصافي، وإظهار مشـــاعر البهجة والفرح، وزيادة عُرى المودة والمحبة؛ كان مجرّد ورقة على التقويم مكتوب فيها: (١ شوال)! فرحم الله مَن كان سببًا في شيوع الرحمة، وجمع الشمل، وإرضاء الرحمن، وإغاظة الشيطان، في هذا اليوم العظيم، الذي جعله اللهُ يومَ فرحٍ وسرورٍ، ويومَ شكر على تمام النعمة، وإكمال العِدّة.

---

(١) رواه البخاري (رقم٨٩٣)، ومسلم (رقم١٨٢٩).